

رحلات علماء برنو إلى الحج وأثره في تطوير أدب الرحلة (بعض علماء برنو نموذجاً)

د. يعقوب يونس موسى

مستخلص

الحج ركن من أركان الإسلام الخمس، وفرض على كل مسلم ومسلمة استطاع إليه سبيلاً. ساهمت أمة برنو لتحقيق أداء هذا الركن بجميع الفرص المتاحة لديهم، وخاصة العلماء عن طرق متعددة للوصول إلى أرض الحرمين براً وبحراً وجواً. وكان لعلماء الإسلام تسجيل حي لرحلاتهم إلى الحج، هذه التسجيلات التي دونت عن رحلات الحجاج نتج عنها ولادة أدب الرحلة ويعد ذلك من ضمن عناصر الأدب الإسلامي. وتهدف الورقة إلى إلقاء الضوء على بعض تسجيلات علماء برنو في رحلاتهم إلى الحج في القرن العشرين وأورث ذلك تطوير اللغة العربية وثقافتها بين الأمة.

Abstract

Pilgrimage is one of the five pillars of Islam, and it requires every Muslim man and woman who can afford physically financially and religiously to perform the obligation. Borno as a state has over the years contributed to the achievement of the performance of this pillar with all the opportunities available they have, especially Ulama, from multiple access road to the land of the Holy places, Mekkah and Madina. The history traces that the Ulama of Islam documented their trips to the pilgrimage through various roots; these recordings which codified for pilgrim tours resulted in the birth of travel literature, and is therefore among the elements of Islamic literature. The paper aims to shed light on some of Borno Ulama documentations on their travels to the Hajj and other places in the twentieth century and bequeathed it to develop the Arabic Language and Culture of the Nation.

المقدمة:

الحمد لله الذي فرض الحج على الأمة الإسلامية إلى البيت العتيق، ويسر لقاصديه أسباب الرزق والتوفيق. والصلاة والسلام من خير معبود وإلى أعظم عابد سيدنا ومولانا وقائدنا وشفيعنا محمد بن عبدالله وعلى آله وصحبه ومن والاهم بإحسان إلى يوم الدين. إن الحج ركن من أركان الإسلام العظيمة، وقد تقرر وجوبه وفرضيته في نصوص الكتاب والسنة وإجماع العلماء. فقد رأينا عبر تاريخ الإسلام الطويل كيف استجابت الأمة رجالاً ونساءً إلى هذه الدعوة الإلهية للتحرك إلى أرض الحرمين لأداء هذه المهمة الدينية العظيمة فأتوا من كل فج عميق إمتثالاً لقوله تعالى " وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ". وقال عليه الصلاة والسلام [أيها الناس قد فرض الله عليكم الحج فحجوا].

فالمقالة تحاول إلقاء الضوء على فرضية الحج وكيف استجابت أمة برنو لهذا القرار الإلهي من ضمن الأمة على مر العصور والذهاب إليه براً وبحراً وجواً، ودونوا هذه الرحلات المباركة إلى أرض الحرمين بالشعر وبالنثر مما أدى إلى تطور أدب الرحلة في المنطقة.

الحج في الإسلام:

الحج ركن من أركان الإسلام الخمس، وقد فرض الله الحج على أمة الإيمان في السنة الخامسة من الهجرة النبوية. "ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلاً ومن كفر فإن الله غني عن العالمين"^(١). وقوله "إن أول بيت وضع للناس الذي ببكة مباركا وهدى للعالمين"^(٢).

وفي الحديث الذي رواه البخاري ومسلم واللفظ لمسلم عن ابن عمر رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم [بني الإسلام على خمس شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وصوم رمضان وحج البيت لمن استطاع إليه سبيلاً]^(٣). ورواية أخرى لمسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم [أيها الناس قد فرض الله عليكم الحج فحجوا]^(٤).

تلبية الأمة لحج بيت الله من إفريقيا:

أثبتت جل مصادر التاريخ أن الإسلام دخل القارة الإفريقية في القرن الأول الهجري بعد استقراره في الجزيرة العربية وما يجاورها عبر البحر الأحمر في أول الأمر حينما هاجر بعض الصحابة إلى الحبشة فراراً بالدين والإيمان، وتابع ذلك فتح مصر ودخول المسلمين بعض مناطق شمال إفريقيا ومنها إلى غرب ووسط إفريقيا.

ومنذ ذلك الوقت إهتمت أمة الإسلامية بأداء هذا الركن، ولم تكن إفريقيا منقطعة من هذا فسلكت دون تراجع أو تكاسل عبر مختلف الطرق في سبيل تحقيق أداء هذه المهمة الدينية والروحية، فبحثت عن طرق الوصول إليه في أول الأمر مشياً على الأقدام أو بواسطة الدواب وخاصة الإبل عن طريق الحبشة ومصر والسودان والبحر الأحمر، ويستغرق ذلك سنين عديدة فتحركت بقوة إيمانها بمرور الزمن للذهاب إلى أرض الحرمين براً بالعربات وبحراً بالشاحنات وجواً بالطائرات حسب المقدرة والطاقة. وقد أثر هذا التحرك الديني عن طريق الرحلات إلى الحج على حياة المجتمع الإفريقي روحياً وثقافياً واقتصادياً وعلمياً ودبلوماسياً. ونتج عن ذلك وجود نشاطات حركات تجارية بين إفريقيا، شمالها وغربها ووسطها مع عرب الحجاز والشام واكتسب ذلك تغيير في المجتمع الإفريقي المسلم والعرب في الحجاز.

رحلات المسلمين إلى الحج من نيجيريا براً وبحراً وجواً.

إن فترة ما قبل الاستعمار قد شهدت رحلات وفود نيجيريا إلى الحج (مكة والمدينة) تلبية لأمر ربها عن طريق السودان براً وبحراً مما ترتب عليه ونتج وجود استقرار لجاليات نيجيرية في السودان وواصل ذلك حتى بعد الاستقلال.

^(١) سورة آل عمران الآية: ٩٧.

^(٢) سورة آل عمران الآية: ٩٦.

^(٣) رواه البخاري حديث رقم: ٨. ومسلم حديث رقم: ١٦.

^(٤) رواه مسلم حديث رقم: ١٣٣٧.

وفي خمسينيات وستينيات حتى تسعينات كان سفر حجاج نيجيريا إلى الحج جواً وارتفع حتى وصل إلى ستين بالمائة بالمقارنة إلى حجاج بقية دول غرب إفريقيا.^(٥)

وفي منتصف عام ألف وستمائة وأربعة وتسعين ارتفع سعر الحج إلى مائة وخمسة وعشرين ألف نيرا بنيجيرية (N125,000) مقابل خمسين ألف وخمس وثمانين ألف دولار بدلاً من خمسين ألف نيرة (N50,000) المعتاد وهذا ما بين سنة ١٩٩١-١٩٩٥م لظروف اقتصادية مما دفع الحاكم والمحكومة إلى التفكير للعودة إلى استعمال طريق البر لحل أزمة ارتفاع الأسعار الذي نتج عن تدهور الاقتصاد في الوطن آنذاك.^(٦)

فقد قررت الحكومة بتصريحات لحجاج نيجيريا السفر إلى الحج عن طريق البر عبر تشاد والكميرون وإفريقيا الوسطى إلى السودان لمن لا يطيق اتباع طريق الجو أو غيره لعامل الاقتصاد. فصدرت هذه التصريحات لبدء الرحلة فيما بين ١٩٩١-١٩٩٥م، ولكن توقف المشروع لظروف أمنية في سنة ١٩٩٦م^(٧).

رحلات علماء برنو إلى الحج وأثره في أدب الرحلة

رحلات جمع رحلة ومعناها التحرك بنية السفر من مكان إلى مكان آخر أو من بلد آخر بأية طريقة ووسيلة براً وبحراً وجواً.

وعلماء برنو هم قواد الفكر والعلم في المجتمع البرناوي وقاموا بدور الأدباء لأهداف دينية وكانت لهم تسجيلات وتدوينات في مختلف العلوم والفنون من ضمنها أدب الرحلة.

التعريف بأدب الرحلة ومساهمات بعض علماء برنو في تطويره أدب الرحلة وآداب الرحلات:

هي مجموعة الآثار الأدبية التي تناولت انطباعات المؤلف عن رحلاته في بلاد مختلفة، وقد يتعرض فيها لوصف ما يراه من عادات وسلوك وأخلاق ولتسجيل دقيق للمناظر الطبيعية التي يشاهدها أو يسرد مراحل رحلته مرحلة مرحلة أو يجمع بين كل هذا في آن واحد. وقد اشتهر العرب بأدب الرحلات، ومن أهمها "رحلة ابن بطوطة" (٧٧٠هـ).^(٨)

ويعتبر أدب الرحلات - إلى جانب قيمته الترفيهية أو الأدبية، أحياناً- مصدراً هاماً للدراسات التاريخية المقارنة، وذلك بالنسبة للعصور الوسطى خاصة كما أن علماء الأدب المقارن اعتبروه قسماً من أقسام هذا الأدب في تصنيف الحديث.^(٩)

^(٥) تقرير صحيفة الدول اليومية النيجيرية Punch 28/4/1996 صفحة ١٨

^(٦) المصدر نفسه.

^(٧) المصدر نفسه

^(٨) مجدي وهبة وكامل مهدي . ص: ١٧.

^(٩) نفس المرجع والصفحة.

^(٣) عبد الله غونى التيجانى. ١٩٨٤.

أولاً: أدب الرحلة في برنو:

عبارة عن مجموعة من القصص الفني يقص على القارئ ما شوهده في رحلة من الرحلات بأسلوب أنيق إما أن يكون منظوماً أو منثوراً، وساهم في هذا الموضوع علماء من المسلمين حيث كتبوا عن رحلاتهم إلى الحج أو إلى المدينة المنورة^(٣).

وعن رحلاتهم إلى الدعوة الإسلامية وحضور الحفلات الإسلامية وزيارة المشايخ، وقد شارك علماء برنو إخوانهم المسلمين بالإسهام في هذا المجال.^{١٠}

ثانياً: عرض النماذج:

قد كتب عدد كبير من علماء برنو الذين عاشوا في القرن العشرين عن رحلاتهم المختلفة نثراً وشعراً.

وإليك بعض النماذج منها:

النموذج الأول: الرحلة المسماة بـ"الدر المنثور بذكر العودة إلى زيارة كولاخ ومدينة فاس والمدينة المنورة ومكة المكرمة للشيخ أحمد أبي الفتح اليربوعي التجاني المولود سنة ١٣٤٣هـ والمتوفي سنة ١٤٢٤هـ"

هذه الرحلة تحتوي على رحلة قام بها الشيخ إلى الحج، ولكنها شملت مدناً ودولاً كبيرة قبل الوصول إلى المقصد وكان التسجيل نثراً.

فافتتح تسجيل رحلته بالبسملة والحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله حيث ذكر عزمه للخروج في هذه الرحلة الميمونة كما سماها، وكان أول خروجه يوم الاثنين من شهر رجب سنة ١٤٠١هـ زيارة مدينة كولخ، ومدينة فاس بالمغرب والمدينة المنورة ومكة المكرمة لزيارة الشيخ الفاضل الحاج إبراهيم إنياس ولخليفة خلفائه وأستاذ أولاده وشيخ مريديه أبي الحسن سيدي الشيخ الحاج علي سبيس إمام أعزه الله وشرفه نفعا للعباد أمين.^(١١)

وفي بداية الرحلة ذكر الشيخ وداعه لبعض إخوانه العلماء العاملين بقوله: "وودعت بعض إخواني العلماء العاملين في الدار كإخينا في الله الشيخ الحاج أبي بكر المسكين البرناوي التجاني، والسيد الماهر الصديق والسيد الماهر العالم آدم طن كللوي والمحب الموفي السيد الحاج منذو، والعالم الشهير صاحب دلائل الخيرات الصهر المكرم الخادم الأديب التاجر الربيع سعد، والأخ الفاضل المحترم الحاج لوان التجاني، والسيد الفاضل العابد الناسك التجاني عقيد، والأخ الفاضل والتاجر الربيع الشريف محمد محمود الكنوي، والسيد العلامة والمقدم الكبير الشريف أحمد التجاني البرناوي والسيد الأمين. وشيعني بعض الإخوان إلى المطار البرناوية كسيدي الشريف الشيخ إبراهيم صالح، والأخ المبارك الحاج عمر محمد، وصهري الحاج صالح النور والولد البار الحاج محمد العربي والخديم الأرضي عثمان بن عبدالله الحاج أحمد العسكري وعميد مدرستي العالم محمد ثالث ونائبه العالم محمد الصهر الأديب، وجماعة كثيرة من التلامذة والطلبة والمريدين والمحبين من الغرباء والجيران.

^{١٠} عبدالله غوني التجاني (الدكتور) - المرجع السابق.

^{١١} مخطوط الرحلة بخط يدوي.

وبعد سرد الشيخ قصة قيامه من ميدغري:

وأتيانا المطار المعروف وسألنا عن أخبار الطائرات اليومية والليلية وقال خدام الطائرة الموظفون هناك لا تأتي اليوم إلا طائرة واحدة مملوءة الكراسي ولا يوجد فيها مقعد، لأي إنسان لأجل ذلك ودعت إخواني وأصحابي وأحبابي وأخبرتهم بما في ضميري وطويتي بأني نأو السفر على سيارتي إلى كانو عاصمة الفيضة التجانية ذات الأسرار الربانية، وقالوا بالسلام، وركبنا السيارة الجديدة مع ولدي المبارك الحاج سكيرج والمريد الصادق والطبيب الماهر حسين والسائق الأديب محمد غالي في الساعة الخامسة متوجهين إلى كانو^(١٢).

ثم ذكر وصوله إلى كانو وقيامه منها

ووصلناها في الساعة الحادية عشرة ليلة الثلاثاء وذهبنا إلى منزلنا المعروف بحارة سنك دار أستاذنا المرحوم أستاذ الشريعة المحمدية وشيخ الطريقة التجانية الأحمدية ذات الأسرار الربانية العارف بالله الشيخ أبي بكر عتيق بن خضرا أكرم بها منزلا واسعا وقرى ضيف واسعة ووجدت بها شرفين كريمين شقيقين الشريف أحمد وهما من أهل نيجر ففرحا بنزولي في البيت التي نزلنا فيه وبت ليلة واحدة ومعهما، ولما أصبحنا يوم الثلاثاء قاما وذهبنا إلى مستشفى لعيادة المريض المفروش الذي يعالج هناك، وبقيت في المنزل وحيدا لأسلم على أولاد أستاذي المذكور الخليفة أحمد التجاني وإخوانه وأمهاتنا عيال الشيخ الحاج أبي بكر عتيق، وبعد أداء ما يجب علي من الإكرام والتعظيم والتبجيل في جنابهم أرسلت غلامي إلى سليل الشيوخ الكرام والعلماء العظام ألا فهو السيد العارف بالله العلامة الشيخ محمود سلغا ليسلم عليه ويخبره بنزولنا ليلة الثلاثاء ومقصودنا المرور إلى كولاخ بحول الله وقوته وطلبنا منه المساعدة لوجود توقيع الجوزات من سفير السعودية بكانو وقام بنفسه وتأهب وذهب للمكتب وبذل جهده حتى حصلنا على التوقيع والإمضاء فوق ما يرام بارك الله فيه وطول عمره وأبقاه نفعا للعباد أكرم به فتى كريما وبتنا في مدينة كانو ثلاث ليال لعدم وجود الطائرة التي تتوجه إلى ليغوس عاصمة اتحاد نيجيريا حاليا وفي كانو ذهبنا إلى دار محبنا المكرم التاجر الرابح المقدم الكبير العالم العلامة الحاج عبد الرحمن عبار نغم وتانسنا به سبعة يوم الثلاثاء، وقمنا منه مودعين له ورجعنا إلى منزلنا الواسع. وفي يوم الأربعاء زرنا السيد العلامة والقوة الشهير الشيخ عمر فاروق ابن العلامة عبدالله سلغا بداره وفرح بنا وتانسنا معه هنيهة قليلة ثم ودعناه ودعا لنا بالفاتحة وصلاة الفاتح وبالذهاب والإياب بالخير العميم الحادي لراحة القلب والبدن، وفي كانو التقيت بولدي الكرمين الطالبين لجميع العلوم النافعة الحاج إبراهيم أحمد ومحمد المرتضى أحمد. وفي كانو التقيت ببعض الإخوان والأحباب والأصحاب كالعالم الهادي عشر صهر الشيخ الشريف عبد المؤمن، والحاج أحمد التجاني بن العالم علي ياكاسي والحاج أحمد ميغورو الحاج يوسف صاحبي قديما، والمحب الوافي العارف بالله محمد رابع دالا، والحاج حمزة، وأمير موقف سيارة رنغم، والمحب الوامي العالم محمود منصور.

ثم القيام من كانو والنزول بليغوس (أغيغي) وذلك يوم الخميس بمرافقة السيد محمود سلغا بسيارة خاصة إلى مطار كانو للسفر إلى ليغوس، وفيها رحب بنا المضيف وهو إمام الفيضة التجانية

^{١٢} مخطوط الرحلة نفس المرجع.

بأغيغي لاغوس وإمام الجمعة والجماعة وخطيبها وخليفة من خلفاء الشيخ الإسلام الحاج إبراهيم إنياس ومكثنا مدة فيها وتبادلنا الزيارة ، ثم قمنا من أغيغي لاغوس إلى ساحل العاج، ومن ساحل العاج إلى دكار عاصمة سنغال ونزلنا ببيت الشيخ هناك واتصلنا بنائب سفير نيجيريا هناك وأكرمنا غاية الكرم، ثم قمنا إلى دكار وإلى مدينة كولخ.

وفي نفس اليوم الساعة الحادية عشرة قمنا من دكار متوجهين إلى كولخ وكان وصولنا بعد فراغ المدينة من صلاة الظهر بقليل وإذا بسيدي الخليفة علي سيس منصرفا من المسجد الكبير الجامع مع جماعة كثيرة يذكرون الله قياماً لا إله إلا الله لا إله إلا الله ووصلنا إلى بيته وزرناه ودعا لنا وجهاز لنا المأكولات والمشروبات. ثم عدنا إلى دار الضيافة من العصر حيث خرجنا إلى المسجد الجامع لصلاة العصر، وبعده أمرنا الشيخ الخليفة لزيارة الشيخ عبدالله إنياس ودعا لنا ثم بتنا، وفي يوم التالي قمنا من كولخ فعودة إلى دكار ثم إلى الدار البيضاء.

ثم من الدار البيضاء إلى مدينة فاس ووصلنا فاس الإدريسية ليلة الإثنين وذهبنا إلى فاس الجديدة، وقمنا صباح يوم الإثنين إلى فاس القديمة لزيارة شيخ الشيوخ أبي العباس الشيخ أحمد التجاني بالفرح والسرور والوقار لضيف المسالك حيث وجدنا السيد خليل ولد الشريف محمود حيث أتى بالمفتاح وفتح لنا باب ضريح مولانا الشيخ أحمد التجاني وزرناه وسلمنا عليه بالأدب والوقار، وخرجنا وودعنا مدينة فاس، ومن فاس إلى مراكش ومن مراكش عدنا إلى الدار البيضاء ثم إلى جده.

ومن جده إلى المدينة المنورة وقد وصلنا المدينة المنورة قرب صلاة المغرب ليلة الجمعة ونزلنا بفندق الحرم وذهبت بين المغرب والعشاء إلى الحرم لزيارة رسول الله صلى الله عليه وسلم ووقفت عند ضريح روضة الرسول صلى الله عليه وسلم، وقرأت سر الزيارة المعروفة، ومنها إلى مكة المكرمة.

ووصلنا مكة بعد انتصاف الليل بقليل وبمجرد نزولنا في فندق الرحاب وتركتنا امتعتنا فيه وذهبنا إلى الحرم المكي لأداء طواف العمرة والسعي بين الصفا والمروة، وأحرمنا بالعمرة بذي الحليفة عند مسجد الشجرة المعروفة بمسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم وأدينا عمرتنا بليلة المعراج ليلة السابعة والعشرين وأتممنا مناسك عمرتنا الله في ليلة المعراج ودخلنا المسجد الحرام من باب بني شيبه، وبدأنا الطواف من الحجر الأسود إليه سبع مرات، وأتينا خلف مقام إبراهيم ودعونا الله الكريم الوهاب بما نرجو من الله تعالى إجابته. ثم ذهبنا إلى السعي وسعينا بين الصفا والمروة سبع مرات، والابتداء من الصفا والانتهاه بالمروة. وخرجنا من مكة المشرفة يوم الإثنين بعد طواف الوداع، وطلبنا سيارة وسعة لتقلنا كلنا إلى جدة فوجدناها وتوجهت بنا إلى فندق الرحاب لنقل أمتعة بعض الإخوان بها وقلت ارتجالا على الطريق ومنشدا بالآيات الواردة:

يا كعبة الله إنني فيك محترق	* من الفراق أجل يا كعبة الله
متى رجوع إليك كعبة الله	* أم المساجد أنت كعبة الله
بيت الإله إله العرش خالقنا	* فيك المقام نعم يا كعبة الله
وقد رجعت إلى وطني على وجل	* تأبنا آيها الله بـ
الله يغفرنا الله يسـ	* من الذنوب بسر الله عبداً

يا رب صل وسلم دائماً أبداً * على محمد روح الكون نور الله
والله وعلى أصحابه أبداً * ما قال منشدنا يا كعبة الله^(١٣)

ومن مكة المكرمة انتقلنا إلى جدة، وبعد وصولنا إلى فندق الرحاب وتنظيم أمتعتنا وحملها على السيارة المستأجرة من مكة المشرفة وطوينا بساط المقام وأخذنا عصا التسيار وكل واحد منا أخذ مكانه في السيارة وأمرنا بالمسير فخرجنا عند فندق الرحاب مسرعين إلى مطار جدة الجديدة الواسعة العالمية، ونحن أول راكبين في الخطوط الجوية ثم أمرنا خدام الطائرة بالدخول الطائرة وطارت بنا نحو القاهرة يوم الإثنين.

ومن جدة إلى القاهرة، حيث أتيناها قبل الغروب ومكثنا بالمطار قدر الإضاء التأشيرة وصرف عملة الركاب بعملة القاهرة، ثم طلبنا سيارة أجرة وحملتنا إلى فندق خان الخليلي ونزلنا بها ليلة الثلاثاء وبمجرد نزولنا بالفندق قام ولد أخينا في الله الإمام أغيجي الولد البار الحاج محمد بدماصي الملقب بيارن باب، وذهب إلى الأخ الفاضل العالم أحمد العبد لاوي ابن أستاذنا الشيخ أبي بكر عتيق وأخبره بزولنا الليلة ليدله على دار ابني البار الحاج علي سمي والدي، وبمجرد سمعهم بأتينا قاما وأتيا إلينا وسلمنا علينا وتأنسنا بهم قليلاً ثم أمرناهم بالرجوع إلى ديارهم.

ومن القاهرة إلى كانو، حيث قمنا يوم الاثنين في الساعة اثني عشر وسبع دقائق وطرنا فيالسماء متوجهين إلى كانو عاصمة الفيضة التجانية نيجيريا، وقطعنا هذه المساحة الشاسعة البعيدة الجوية في خمس ساعة ونصف ساعات لا تسل من السحب المركومة فوصلنا مطار كانو في الساعة الخامسة وربع الساعة، ووجدنا هناك السيد العالم الحسين إمام شيخنا الشيخ أبي بكر عتيق منتظراً قدوم صنوه العالم يحيى الكبوي فأخرجوا أمتعتنا بلا تعب ولا نصب وأتوا بسيارة أجرة ودخلناها إلى دارهم ونزلنا بها لقربها من المطار وأكرموني جداً فأخبروا تلامذة أستاذنا الشيخ أبي بكر عتيق كأخينا في الله العالم معاذ والعالم طلحة والعالم نوح والعالم أبي بكر وغيرهم فأتوني سريعاً وسلموا علي وأنزلوني على قصرهم في مكان واسع تهب فيه رياح طيبة من كل جهاتها أكرم بها داراً مباركة وبت هناك ليلة كاملة وقمنا لسفرنا على الخطوط الجوية البرناوية وقمنا من كانو في الساعة الثامنة نصف الساعة فوصلنا لعاصمة برنو خروا ميدغري في الساعة التاسعة ونصف الساعة ونزلنا بخير وعافية وصحة كاملة بفرح وسرور^(١٤).

وسيرى الواقف في تفاصيل هذه الرحلة أن مقصدها الأسمى هو زيارة شيخ الإسلام الشيخ إبراهيم إنياس الكولخي وزيارة أبي العباس الشيخ أحمد التجاني بفاس وجدهم الأعلى سيد الوجود صلى الله عليه وسلم بالمدينة المنورة في أثناء أداء الحج والعمرة.

^{١٣} نفس المرجع.

^{١٤} نفس المرجع.

ولكن قبل الوصول إلى ذلك هناك وقفات ببعض المدن والقرى، ثم أشرنا أثناء تحدثنا عن هذه الرحلات بالكلمات وفصلنا القول في رحلة الحج مع ذكر الأماكن المشرفة فيهما مثل المدينة المنورة ومكة المكرمة والأعمال التي قدمت فيها بعون الله وقدرته.

وإذا أمعنا النظر في سرد قصة هذه الرحلة نجد أنها تؤرخ لنا عن المدن التي وقف بها الشيخ وأهم الأماكن التي زارها والأشخاص الذين ألتقى بهم وكان سرد هذه الرحلة نثراً بلغة عربية سهلة التناول وبأسلوب مألوف.

النموذج الثاني:

الرحلة إلى الحج لصاحبها الشيخ محمد بركوما المولود بقرية سمباره في شمال مدينة انغروا وتوفي سنة ١٤٠٠هـ ١٩٧٩م. وفي أثناء حياته تتلمذ على يد الشيخ أية سلولم بولوري ثم انتقل بعد وفاته إلى الشيخ غبريم بانغرو ولازمه حتى أن صار كاتباً له.^(١٥)

عرض موجز لرحلته إلى الحج:

بدأ الشيخ بركوما سرد رحلته بمقدمة يقول:

الحمد للفاعل كل الشأن	*	كما يشاء لا كما للكون
حمدا يندوم بدوام الروح	*	في بدن الخلق إلى الفلاح
صلى وسلم على النبي	*	محمد خير الورى المدني
وآله وصحبه الأخيار	*	الفضلاء السادة الأبرار
وبعد فالقصد بهذا النظم	*	تذكرة لحجنا المعظم
أعاننا الله على أدائه	*	بحبه إمام أنبيائه

ثم شرع يبين لنا وقت انطلاق طائرتهم من مطار مدينة كانو ووقت هبوطها على مطار جدة، ومكثهم بجدة ثلاثة أيام وسيرهم إلى مكة مع الحجاج كما يقول:-

سرنا مع الحجاج وقت العتمة * لمكة الأمانة المكرمة

ثم استمر الشيخ يقص عن طوافهم للقُدوم وعن خروجهم إلى منى يوم التروية وعن ذهابهم إلى عرفات في التاسوعاء وعن رجوعهم من عرفات إلى المزدلفة وعن رميهم للعقبة وعن إفاضتهم وعن إقامتهم بمنى لثلاثة أيام متأخرين لا متعجلين، ويذكر لنا أسماء رفقته في هذه المناسك ثم يخبرنا عن ارتحالهم إلى المدينة المنورة وعن زيارتهم هنالك، يقول مثلاً:

وبعدما زرنا شفيع الخلق	*	وصاحبيه معه في الخلق
سرنا إلى مضاجع السعداء	*	في أحد زيارة الشهداء
من بعد ما زرنا صحابة الشفيع	*	في بقعة شريفة تدعى البقيع

^{١٥} عبدالله غوني تجاني، مخطوط رحلة الحج للشيخ محمد بركوما.

فيواصل الحديث عن زياراتهم الأخرى مثل مسجد القباء ومسجد القبلتين، وستة المساجد ثم يدعو الله متوسلاً بأصحاب هذه الأماكن المقدسة:-

يا ربنا بجاه هؤلاء * أعطني مناي واستجب دعائي
وزدني العلم مع الأرزاق * واعطني مكارم الأخلاق

ثم يحن إلى المدينة المنورة ويود أن لو يعيش فيها مدى الحياة. ثم يخبرنا عن ارتحالهم من المدينة إلى "جدة" ثم إلى الوطن، ويختم الرحلة بالدعاء والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم يقول:-
يا رب يسر كل ما تسعرا * لبي ولهم وتتفمين الغيـرا
صل على خير البرايا أحمد * وآله وصحبه والمقتدى^{١٦}

نجد في عرض نموذجيين من رحلات علماء برنو إلى الحج وأماكن أخرى سرداً لقصص فنية يقص الراحل على القارئ ما شوهه أو وقع أو ما قدم بنفسه في رحلة من الرحلات بأسلوب أنيق إما منظوماً أو منثوراً كما رأينا في سرد رحلة الشيخ أحمد أبو الفتح والشيخ محمد بركوما في رحلتيهما إلى الحج. ويحتوي هذا على ذخيرة لغوية وتاريخية وفنية، وإن مثل هذه الرحلات كان الغرض منها مطلوباً شرعاً مما أكسبه أن يكون من ضمن أدب الرحلات الذي يضاف ضمن خصائص الأدب الإسلامي.

الخاتمة:

في ختام هذا السرد يجد القارئ أن علماء برنو وشعبها قد ساهموا على مر العصور منذ أن اعتنقت الإسلام في أداء مهمة فريضة الحج بما لديهم من طاقة وقدرة لأداء هذا الركن الديني المهم تلبية لأمر الله. ولم يكتفوا عن أدائها فقط بل سجلوا مشاهداتهم في طريق الذهاب والإياب، وفي أداء بنود أركانها وأماكنها ومواقعها وترتب على ذلك وجود ديوان للرحلات إلى الحج وأماكن أخرى مقدسة ونتج عن ذلك تطوير للغة والأدب والتاريخ تحت إطار أدب الرحلة.

المصادر والمراجع

- القرآن الكريم.
- الحديث الشريف.
- تقرير صحيفة الدول اليومية النيجيرية 28/4/1996 Punch
- مجدي وهبة وكامل مهندي، معجم المصطلحات العربية في اللغة العربية والأدب، مكتبة لبنان.
- عبدالله غوني التجاني، مقالة ندوة بعنوان: الأدب الإسلامي وخصائصه في أراجيز الرحلة لعلماء برنو ١٩٨٤م.
- عبدالله غوني تجاني، أدب الرحلة للشيخ المسكين البرناوي، بحث لنيل درجة الماجستير في اللغة العربية وآدابها بجامعة بايرو كانو نيجيريا عام ١٩٩٦م.
- عبدالله حمد الحقييل، أدب الرحلات فن متميز، مقالة منشورة في مجلة المنهل، العدد ٤٩٦، المجلد ٥٣ ذو الحجة ١٤١٣هـ يونيو ١٩٩٢م.

المخطوطات:

- الشيخ أحمد أبي الفتح - مخطوط الرحلة بخط يدوي بخط الشيخ أبوبكر المسكين بعنوان: الدرر المنثورة بذكر العودة إلى زيارة الكولخ ومدينة فاس والمدينة المنورة ومكة المكرمة للشيخ أحمد أبي الفتح البيرواوي.
- الشيخ محمد بركوما - الرحلة إلى الحج.